# جامعة الجيلالي بونعامة
# خميس مليانة

---

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم: العلوم الانسانية

شعبة التاريخ

## مطبوعة دروس خاصة بمقياس الاستعمار وحركات التحرر

السنة الثالثة تاريخ ليسانس

تخصص: تاريخ

**السنة الجامعية :2021 - 2022**

**مقدمة**:

شهدت مرحلة التحالف التي مرت بها الحضارة الأوربية الثانية، توسعا استعماريا لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية، والقرن التاسع عشر هو بحق قرن الإمبراطوريات الاستعمارية الكبرى. والواقع أن تطور سريعا للرأسمالية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نتيجة للتقدم التقني والعلمي، وخاصة بعد اكتشاف الآلة البخارية وظهور الثورة الصناعية وما نتج عن ذلك من ازدياد الإنتاج وتشبع السوق الداخلية، والحاجة إلى أسواق جديدة خارجية لتصريف الإنتاج وتوظيف الأموال المتراكمة من الفترات الاستعمارية السابقة على شكل فائض قيمة تاريخي، كل هذا ولد هجمة استعمارية جديدة تتسم بالشراسة والبشاعة شملت بشكل خاص مجمل القارتين الأسيوية والإفريقية، وفي بداية القرن العشرين كانت حفنة صغيرة من الدول الأوربية قد أنجزت اقتسام العالم وكان رواد هذه الحركة التوسعية كل من انجلترا وفرنسا وألمانيا واليابان تلك القوى الامبريالية في القرن التاسع عشر والتي تمكنت من الاستحواذ على مستعمرات تفوق في أهميتها وفي مساحتها ما حصلت عليه الدول الاستعمارية التقليدية كالبرتغال وإسبانيا وهولندة في فترة ما بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر مجتمعة.

ومن أعظم تلك الأمبراطوريات فيما بين 1815- 1914 وهي الفترة التي أشار إليها بعض المؤرخين باسم "الامبراطورية البريطانية" حيث بلغت المساحة التي سيطرت عليها بريطانيا في نفس الفترة (26000000 كم$^2$) من الاراضي في القارات الثلاثة التي تعرضت لأشرس حملة استعمارية ممنهجة أي ما يعادل ربع مساحة الكرة الأرضية واخضعت لسلطانها حوالي 400 مليون شخص، أي ما يعادل ثلث سكان العالم في تلك المرحلة. وبذلك فقد أضحت بريطانيا بعد هزيمة نابليون ليس لها أي منافس يظاهي توسعاتها وقوتها عدا روسيا في أسيا الوسطى، كما ازدادت فرنسا توسعا خلال تلك الفترة وزادت مساحتها المستعمرة وأصبحت من القوى الكبرى الأوربية إلى جانب بريطانيا، وأصبحت أقوى منافس لها في البحار والمحيطات وفي أسيا وإفريقيا خاصة، وبذلك أصبح العالم بالكامل مقسما بين الدول الأوربية في نهاية القرن التاسع عشر أي خلال ثلاثين عاما فقط خاصة بعد انعقاد مؤتمر برلين وكانت الحصة الأكبرمن الأسلاب لصالح بريطانيا ثم فرنسا.

وللوهلة الأولى يمكننا أن نلاحظ أن كثافة التسابق من أجل الحصول على المستعمرات خارج حدود القارة الأوروبية قد بدأت منذ منتصف القرن التاسع عشر وتحديدا بعد تحقق الوحدتين الألمانية و

الايطالية. إن الأحداث التي شاهدتها القارة الأوروبية منذ سبعينيات القرن التاسع عشر، والتي على رأسها الوحدتين الإيطالية والألمانية وضعف الدولة العثمانية وظهور بعض الدول الجديدة الصغيرة التي أصبحت تطمع في نيل حصتها من المستعمرات جعل تلك الفترة تتسم بتلك الحملة المحمومة والمسعورة من التسابق واللهث وراء استعباد الشعوب واستنزاف ثرواتها وخيراتها وبعد أن تحولت كل من بلجيكا وألمانيا وإيطاليا إلى قوى امبريالية سعت وبكل الوسائل بما فيه التلويح باستخدام القوة إلى الحصول على بعض المستعمرات في إفريقيا كحق طبيعي لهما الاستفادة من هذا العالم المغلوب عل آمره، حيث واجهت مقاومة شديدة من فرنسا وبريطانيا المستعمرين التقليديين، فبدات تتحد معالم الصراع المقبل الخطير في إبعاده، غريب في أهدافه كارثي في نتائجه.

فنادت الدول الأوربية الاستعمارية للاجتماع في برلين عام 1885 لحل هذه الأزمات الاستعمارية التي راح عدم حلها ينظر بخطر الالنزاع الدموي خاصة في ظل وجود قوى صاعدة لا يمكن التخفيف من حدة طموحاتها بدون أشراكها ولو نسبيا في حصة من المستعمرات. وقرر التحالف الأوربي خلال المؤتمر تخفيف الصراع وتوزيع المغانم ووضع مبدأ قانونيا حول حصة الاحتلال الاستعماري وهو الاحتلال الفعلي. ومبادئ قانونية أخرى كالمساواة الاقتصادية وحرية الملاحة في نهري الكونغو والنيجر.... الخ.

وفي سياق هذه الحملة التي استهدفت الإجهاز على ما تبقى من أرض الخارج في نطاق السيطرة الاستعمارية الأوربية أو امتداداتها الحضارية الرأسمالية جاء دور الاستعمارين الياباني والأمريكي اللذان لجأ إلى تغطية العملية الاستعمارية واخضاع ما تبقى من أسلاب ومن هنا كانت الاشكالية: كيف استطاع الرجل الأبيض السيطرة على اقرانه من الملونين في باقي القارات؟ أكان ذلك نتيجة ملكة وقدرة امتلكها وافتقدها الرجل الملون؟ وماهي وسائل المتسلط في السيطرة؟ وما مدى قابلية الشعوب المستعمرة للظاهرة الاستعمارية وكيف ساعد ذلك على طول امد الاستعمار؟ وما هي العوامل والأسباب والخلفيات التي حركت الظاهرة الاستعمارية وما هي أثار ومخلفات ذلك التسلط والاستغلال على العالمين المستعمر والمستعمر وما هي ردود فعل شعوب المستعمرات وهل نجحت في افتكاك حريتها وانعتاقها؟ ومظاهر النهب والسلب التي قام بها المستعمر في البلاد المستعمرة خاصة في إفريقيا وأسيا وما هي آثار ومخلفات ذلك التسلط والاستغلال؟

اشكاليات كثيرة حول هذه الظاهرة الغريبة في أسبابها ومسبباتها أنها بحق غرابة البشر لا يمكن تفسيرها إلا بشيء واحد ألا وهو حب التسلط والفساد في الارض.

## المحور الاول: الحركة الاستعمارية.

## الدرس الاول: الحركة الاستعمارية وبداياتها في إفريقيا وآسيا

### 1- تعريف الاستعمار:

**أ - التعريف اللغوي:** من الاستعمار كفعل اشتقت الكثير من المفاهيم ففي المعنى اللغوي تعني: من فعل عمر المأخوذة من العمران وهو عند ابن خلدون الحضارة أو كل نشاط يقوم به الانسان وفي مختلف المجالات لتعمير الأرض سواء في الزراعة أو النقل أو التجارة والصناعة والحرف والنقل...انها النظرة الخلدونية الشاملة لمعنى العمران وهي في الظاهر تحمل الكثير من معاني الخير لكن عندما ننظر إلى الممارسات نجد تلك النظرة القاتمة نتيجة للممارسات التي قام بها الرجل الأبيض في حق الشعوب.

**ب - التعريف الاصطلاحي**: فان لاستعمار هو ظاهرة تهدف إلى سيطرة دولة قوية على دولة ضعيفة وبسط نفوذها من أجل استغلال خيراتها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهي بالتالي نهب وسلب لمعظم ثروات البلاد المستعمرة، فضلًا عن تحطيم كرامة شعوب تلك البلاد وتدمير تراثها الحضاري والثقافي، وفرض ثقافة الاستعمار على أنها الثقافة الوحيدة القادرة على نقل البلاد المستعمرة إلى مرحلة الحضارة. من هنا فإن الاستعمار هو إخضاع جماعة من الناس لحكم أجنبي، ويسمى سكان البلاد المستعمَرين، وتسمى الأراضي الواقعة تحت الاحتلال؛ البلاد المستعمَرة. ومعظم المستعمرات مفصولة عن الدولة المستعمِرة ببحار ومحيطات. وغالبًا ما ترسل الدولة الأجنبية سكانًا للعيش في المستعمَرات وحكمها واستغلالها مصادر للثروة. وهذا ما يجعل حكام المستعمَرات منفصلين عرقيًا عن المحكومين

### 2- بدايات الحركة الاستعمارية:

بدأت ظاهرة الاستعمار بمعناه الحديث عند مطلع القرن الخامس عشر، أدت حركة الاكتشافات الجغرافية إلى تسلط بعض الدول الأوربية على أجزاء كبيرة من العالم إفريقيا واسيا، واتضح هذا التسلط في أكثر من صورة بعد قيام الثورة الصناعية، إذ انتشر الاستعمار على نطاق واسع وقسم ما يعرف حاليا بالعالم الثالث إلى مناطق نفوذ حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. وكانت فاتحة ذلك عندما تحرك البرتغاليون باتجاه الوجهة الأخرى من البحر، حيث احتلوا في أول محطة على الضفة الجنوبية

للمتوسط مدينة سبته عام 1415 لتنطلق بذلك الآلة التوسعية التسلطية الاستعمارية في السواحل الغربية للقارة الافريقية باتجاه منطقة خط الاستواء فمنطقة الراس.. ومن هنا فإن الفعل الاستعماري هو نتيجته، لتلك التوسعات التي بدأها البرتغاليون والتي كانت بدايتها افريقيا باتجاه المحيطات الكبرى وحيث ما حلوا أقاموا مراكزا للتموين والتمويل مستنزفين خيرات وثروات الشعوب وكان أولى ضحاياها الافارقة. وحسب جاك بارك وشارل أندري جوليان وغيرهما فإن: "الاستعمار حركة توسع تاريخية للحضارة الصناعية، نبعت من بعض الأوطان، المحددة تاريخيا وجغرافيا، وسنقتصر هنا على التوسع الاستعماري بين 1415-1815م حيث كان الاستعمار خارج أوربا مقصورا على كل من البرتغال- اسبانيا- فرنسا- بريطانيا-هولندا"

**أ- الكشوفات البرتغالية:** مرت حركة الكشوفات البرتغالية بثلاث مراحل:

**المرحلة الأولى:** خلال القرن الخامس عشر ميلادي: ويمكن تقسيم الاستعمار الغربي في العصور الحديثة إلى مرحلتين أساسيتن أولهما تغطي القرنين السادس عشر والسابع عشر، وتركز على الاستعمار الاستيطاني لحد بعيد، وثانيهما تحتل القرن التاسع عشر ويسودها طابع الاستعمار الاستغلالي. كما يرتبط هذا التطور بالكشوف الجغرافية التي صاحبت التوسع التجاري في المرحلة الأولى فأنه يرتبط بالثورة الصناعية في المرحلة الثانية. وبدأت الكشوفات في نهاية القرن الخامس عشر أوائل القرن السادس عشر من قبل البرتغال الذي استأنف مع الاسبان الصراع الصليبي ليبدأ بذالك استعمارا كاثوليكيا موجها ضد الإسلام والمسليمين.

فمنذ غارات القراصنة الاسبان على المغرب وقبل الاسترداد النهائي لاسبانيا عام1492أسس البرتغاليون قواعد عسكرية ومراكز تجارية في المناطق التي وصلت اليها سفنهم الاستكشافية كرأس الرجاء الصالح – الصومال وموزمبيق وبعض المدن الهندية كاليكوت-فوا وبومبايالتي اتخذها البرتغاليون قاعدة انطلاق نحو استعمار مالقا سنة1511 على يد البوكيرك، وكذالك التوغل حتى اندنوسيا.

ومن هنا يتضح لنا بأن البرتغال اتبعت سياسة محاصرة العالم الاسلامي والاستيلاء على المراكز التجارية الهامة لتنشيط التجارة البرتغالية والقضاء على التجارة العربية الايطالية، وبطبيعة الحال لم يرض العرب والبنادقة بهذه السياسة، وكونوا حلفا عسكريا واشتبكوا بالقوات البرتغالية سنة1509 قرب ديو غير أن المستعمرات الاسبانية والبرتغالية الميالة للقائد البرتغالي ما لبث ان قضت على الاسطول المتحالف وبذلك أصبحت التجارة الشرقية تحت سيطرة البرتغال.

ولم يكتف البوكيرك الحاقد على المسليمين بذالك، بل وضع خطة عسكرية واقتصادية للقضاء على تجارة المسليمين والاستيلاء على مكة والمدينة ونقل المقدسات الإسلامية إلى روما أو رميها في البحر، لكن جيشه الذي أبحر إلى عدن لاحتلالها هلك نظرا لحصانة المدينة واستبسال المدافعين عنها، فتحول إلى شاه ايران الصفوي وعرض عليه التحالف ضد القوات العثمانية، لكن الأخير رفض أن يمد يده إلى الحاكم المسيحي ضد المسلم، وبذالك فشلت خطة البوكيرك في القضاء على المعالم الروحية الاسلامية على أن هذا لا ينفي نجاح البرتغال في احتكار تجارة الشرق عبر رأس الرجاء الصاح.

ولما حالف النجاح رحلة كولومبس، واعتقد البرتغاليون أن ما وصل إليه هذا البحار هو الهند استبد بهم القلق على مستعمراتهم الشرقية وكادوا يعلنون الحرب على اسبانيا، لولا تدخل البابا اسكندر السادس الذي حسم النزاع برسم خط وهمي يفصل بين مستعمرات الدولتين، وذلك وفق معاهدة توردیسیلاس1494.

وفاتحة المرحلة الاولى تبدأ بوصول البرتغاليين إلى طريق رأس الرجاء إنما قام على حساب المسلمين أساسا سواء كان تجاريا أم استراتيجيا حيث استقرت قوة البرتغال على كل ساحل الهند والمحيط الهندي. وبدأ البرتغاليون يعملوم بعد ذلك على ابعاد النفوذ العربي الاسلامي عن ساحل شرق افريقيا واستولو في القرن السادس عشر على جزر البحرين واقاموا فيها الحصون، وظلوا بها نحو القرن كامل حتى تمكن العرب من طردهم. وفي العقد الثاني من نفس القرن هاجموا عدن مرتين ولكن بدون جدوى وكذالك فعلوا بمسقط حيث نجحوا في البقاء نحو نصف قرن.

وبذلك بدأ الاستعمار الغربي في العصور الحديثة حيث أسس البرتغال أول امبراطورية استعمارية إلا أنها لم تدم طويلا بسبب المنافسة الاسبانية في نهاية القرن السادس عشر حيث انتقل اهتمام البرتغال من الشرق إلى البرازيل التي جلب لها البرتغاليون الرقيق الافريقي بأعداد ضخمة مما جعلهم مؤسسي مدرسة الرق في العصر الحديث. وشملت الامبراطورية الاسبانية بعد ذلك وفي نفس القرن جزر الهند الغربية وامريكا الجنوبية حتى الارجنتين. ويمكن القول أنه إذا كانت أركان الاستعمار البرتغالي هي التبشير والتجارة والاستعمار الاستراتيجي الساحلي، فإن أركان الاستعمار الاسباني هي التبشير والمعادن النفيسة والغزو والاستعمار الاستيطاني.

**المرحلة الثانية:** مع نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر: في سنة1402 تم اكتشاف جزر كناري وجزر ماديرة وجزر الاوراس. وفي سنة1445 تم الوصول إلى مصب نهري الكونغو والنيجر. وفي سنتي1487 و1488 تم الوصول إلى طرف افريقيا الجنوبي الذي سمي في البداية رأس

الزوابع ثم ما لبث أن اسماه البرتغاليون رأس الرجاء الصالح. وتواصلت رحلات البرتغاليين حيث وصل فاسكو ديجاما إلى الساحل الغربي للهند عن طريق رأس الرجاء الصالح عام1498، واتجهت رحلة أخرى إلى الهند عبر رأس الرجاء الصالح عام1500 ورحلة ثالثة بقيادة دي جاما عام1502 بهدف توطيد النفوذ العسكري الحربي في المنطقة. كما تم الاستيلاء على مسقط عام1508، وعلى مضيق هرمز والانتصار على المماليك عام1509، ثم على جاوا سنة1510، وعلى ملقا سنة1511.

**المرحلة الثالثة:** تبدأ خلال القرن السادس عشر الميلادي: تميزت فيها حركة الكشف البرتغالي بالضعف، بسبب التنازع المستمر مع المماليك والعثمانيين وانتشار النفوذ الاسباني في البرتغال، ومناوشة الهولنديين للبرتغاليين في الشرق، وبسبب عدم القدرة على الدفاع عن المستعمرات الشرقية، كما ان احتكار البرتغاليين للتجارة أثار حفيظة منافسيهم الأقوياء في أوربا. ولقد كان لاتساع حجم النفقات العسكرية دور في تراجع حركة الكشف البرتغالية، فأتاح المجال لدول أوربية أخرى في هذا المضمار. وهنا تبرز اسبانيا على حساب البرتغال لتصبح سيدة البحارالجديدة بعد أن تخلصت من المسلمين وبعد الهزيمة الساحقة للبرتغاليين في واقعة وادي المخازن، حيث تمكنت اسبانيا من اخضاع البرتغال.

**ب- الكشوفات الاسبانية**: مرت حركة الكشوفات الاسبانية بمرحلتين اساسيتين هما:

**المرحلة الأولى:** وتمتد طيلة فترة تولي الملك فرديناند للحكم ولغاية وفاته سنة1516 وقد تم تدشين حركة الكشوفات الاسبانية برحلة كريستوفر كولومبس سنة1492 من اسبانيا نحو الغرب مما أسفر عن اكتشاف جزر الباهاما وكوبا وهايتي. ولقد قام كولومبس بثلاث رحلات أخرى غير رحلته الأولى، وهي رحلة عام1493 التي اكتشف خلالها جامايكا، أما رحلتا عام1498 و1502 فلم تكونا موفقين. وفي الفترة من عام 1499 ولغاية عام 1508 وصل الاسبان إلى مصب نهر لابلاتا وشواطئ البرازيل الاخرى. وبهزيمة الارمادا الاسبانية الشهيرة عام1588 من قبل بريطانيا انتهت اسبانيا كقوة بحرية، وظهرت قوى أوربية جديدة ممثلة في فرنسا وهولندا وبريطانيا. وهنا نلاحظ أنه بينما ركزت هولندا على الاستعمار التجاري خاصة تجارة التوابل خلال القرن السابع عشر، نجد أن بريطانيا وفرنسا قد اهتمتا كثيرا بالمواد الأولية الضرورية للتصنيع وباقامة الشركات الكبرى التي اعتبرت بمثابة دول نظرا للقوة التي امتلكتها والدور الذي لعبته في تكوين الامبراطوريتين الانجليزية والفرنسية، إنها الثورة الصناعية التي قلبت كل المفاهيم الاقتصادية في العالم.

**المرحلة الثانية:** وتمتد من وفاة الملك فرديناند ولغاية أواسط القرن السادس عشر. وقد تم تدشين هذه المرحلة، برحلة ماجلان حول الأرض من الغرب سنة1519، وقد نتج عن هذه الرحلة معرفة كروية الارض وتغيير التصور بشأن شكل الأرض وحجمها، والبرهنة على كبر الأرض بالقياس إلى التصورات السابقة. كما اسفرت رحلته عن اكتشاف القارة الأمريكية والمحيط الهادي، وفي عام1522 تم وصول الاسبان إلى غواتيمالا واستيلائهم عليها، ووصلوا سنة1526 إلى السلفادور واستولوا عليها، أما في سنة1524 فكانوا قد وصلوا إلى كل من الهندوراس ونيكاراغوا ومع حلول عام1541 كانوا قد وصلوا إلى البيرو وتشيلي وبوليفيا.

**ج - الكشوفات الهولندية:** لقد تظافرت جملة من العوامل في مساعدة الهولنديين لكي يصبحوا سادة للبحار الشرقية طيلة فترة القرن السابع عشرو يعتبر القرن السابع عشر قرن الامبراطورية الاستعمارية الهولندية وذلك راجع إلى :

- تراجع الامبراطوريتين الاسبانية والبرتغالية.

- هزيمة الاسبان في معركة الارمادا 1588 أمام الانجليز.

- انفصال هولندة عن اسبانيا على إثر الحروب الدينية 1714.

- استقطابها لأثرياء العالم من اليهود الذين نزحوا إلى هولندة ونقلوا ثرواتهم إلى هناك ونشطوا حركة التجارة ضف إلى ذلك نزوح البرتستانت الفرنسيين من الطبقة الغنية بسبب الاضطهاد الكاثوليكي لهم وكل هؤلاء شجعوا ومولوا الحركة الاستعمارية خدمة للرأسمالية وفي سبيل تطويره.

- سيطرتها على الكثير من المناطق في جزر الهند الشرقية والتي كانت من أسباب ثراء هذا البلد وخاصة أندونيسيا بثرواتها وخيراتها الى غاية1949.

- موقعها الاستراتيجي الممتاز عند مصب نهر الراين الموصل بتجارة أوروبا من وإلى أوروبا.

انشأ الهولنديون تجارة في جاوة منذ سنة1598م لما قهر الأميرال الهولندي البوكيرك أساطيل البرتغال والأسبان، فانتشر بعد ذلك نفوذ الهولنديين التجاري في كل جزائر الملايو وتوسع الهولنديين بسبب المعاهدات التجارية مع السكان، بإنشاء مراكز تجارية لهم، وباحتكارها مقابل حماية الأهالي من اضطهاد البرتغاليين لهم.

**مراكزها التجارية في الشرق:** من أهم المراكز التجارية التي حل بها الهولنديون في أوائل القرن السابع عشر جزر البهار بأندونيسيا ومدينة ملقا أعظم مركز رئيسي للبرتغال، فاستطاعوا بذلك التوغل أكثر إلى جزر أسيا الشرقية واستولوا على الجزر فرموزة، فتوطدت تجارتهم مع الصين واليابان ومناطق الهند الصينية، وامتد نفوذ الهولنديين أيضا إلى شواطئ الهند الغربية، جزيرة سيلان فاحتكروا تجارتهم مقابل حمايتها من البرتغاليين، واتخذو مركزا تجاريا على الخليج العربي بندر عباس فتوغلوا داخل بلاد فارس، وتاجروا مع شواطئ بلاد العرب لما حلوا في مخا.

ثم أكتشفوا عدة جزر في آسيا، أنشأت الشركة الهولندية محطة تجارية لها جنوبي إفريقيا عند رأس الرجاء الصالح سنة1652م فعمرها الأوربيون ولا سيما الهولنديون، والهيجونوت الفرنسيون الذين فروا من اضطهاد لويس الرابع عشر1687م فتوغلوا إلى داخل المنطقة لاستغلالها.

رغم تأخر الهولنديون في حركة الكشف عن البرتغاليين والاسبان والانجليز، شأنهم في ذلك شأن الفرنسيين إلا انهم عندما بادرو في حملاتهم فقد أعطوها جهدا مميزا وتوسعوا فيها بشكل مثير. ففي عام1609 إكتشف الهولنديون خليج نيويورك وفي عام1616 اكتشفوا طريق رأس هورن واكتشفوا كلا من استراليا ونيوزيلندا بين عامي1622 و1624. وفي عام 1622 تأسست شركة الهند الغربية الهولندية ومنحت حقوقا تجارية واستعمارية في العالم الجديد وعلى طول ساحل افريقيا الغربي جنوبي مدار السرطان. وفي عام1634 استولى الهولنديين على كوركو في جزر الهند الغربية. وما بين عام1623 و1654 احتلوا مساحات واسعة من البرازيل. وفي سنة1652 احتلوا جزيرة سانتا هيلانا واقاموا مستعمرة لهم عند رأس الرجاء الصالح كما أقاموا محطات تجارية عديدة في كل من الساحل الهند الجنوبي الشرقي والموانئ في الخليج العربي واليمن، وركزوا جهودهم على احتلال أرخبيل الملايو فطردوا البرتغاليين من هناك وجعلوا من أنفسهم سادة على المنطقة، وقد اسسوا عام1642 محطة بحرية كبيرة في جزيرة فرموزه، سيطروا منها على التجارة مع الصين واليابان.

**د- الكشوفات الانجليزية:** يمكن حصر حملات الكشف الجغرافي التي قام بها الانكليز في تلك الفترة التنافسية من تاريخ الكشف في حملتين فقط هما حملة عام1497 حيث تم الوصول الى الشواطئ امريكا الشمالية عند نيوفينلاند، وحملة سنة1498 إلى فلوريدا مما أدى بالإنجليز إلى استعمار جزء كبير من امريكا الشمالية. لقد أصبحت بريطانيا مع ذلك سيدة البحار الجديدة حيث تغيرت موازين القوى بفضل الثورة الصناعية والانقلاب الذي أحدثته في تغيير المفاهيم والأسس الاقتصادية العالمية إنه بحق عصر التصنيع.

تطلعت بريطانيا منذ القرن السادس عشر إلى بسط نفوذها على البحار الشرقية والهند، وقد حققت هذا التطلع بمساعدة العوامل التالية:

- وضعية العامة في الهند نفسها، حيث تفككت وحدتها وساد التنافس بين أجزائها. يعتبرالعامل الاجتماعي في الهند من الأسباب التي أوقعت هذا البلد في الاستعمار وذلك بسبب التركيبة البشرية المعقدة فمن حيث الأجناس تعدد الأعراق والقوميات أدى إلى صراعات طائفية أضعفت قدرة هذا الشعب وأضعفته ضف إلى ذلك تحالف بعض القوميات مع الأعداء ضد قوميات أخرى الأمر الذي سهل التدخل الأجنبي.

- من حيث الديانات: تعدد الديانات الكونفوشسية، البوذية، المجوسية، الهندوسية، الاسلام... وهي في صراع دائم وحروب طائفية أبعدت الهند عن الأمان وسببت له المتاعب وجلبت له الأخطار.

- انتشار الطبقية وانعدام الانسجام الاجتماعي ووجود فئة عريضة من المجتمع الهندي منبوذة مهمشة ومن هنا ما ابعد المجتمع الهندي عن الوحدة والانسجام والامان.

- كثرة عدد السكان في الهند جلب الأطماع للهند باعتبارها سوقا استهلاكية كبيرة وهذا ما كان يبحث عنه الاستعمار.

- الانتصار الحربي الذي حققه الأسطول البريطاني على الأسطول الاسباني في معركة الارماد سنة1588 حيث تحطمت على إثرها قواة اسبانية بحرية.

- تأسيس شركة الهند الشرقية الانكليزية التي نافست اقرانها الهولندية والفرنسية على النفوذ في الهند والبحار الشرقية.

- ظهور الشركة المتحدة الانكليزية لتجارة الهند، وقيمها على أساس متينة اضعفت من النفوذين الفرنسي والهولندي في الهند الأمر الذي أسفر عن إفلاس الشركة الفرنسية وتدهور أوضاع الشركة الهولندية.

**نشوء الامبراطورية البريطانية في العالم الجديد:**

شرعت كل من بريطانيا وفرنسا في التوسع عبر امريكا في آن واحد تقريبا وقد تولدت الرغبة لدى الانكليز باستعمار العالم الجديد نتيجة الأسباب التالية:

- ضعف الموارد الاقتصادية لعامة الشعب وتفشي البطالة بين صفوفها نتيجية ضيق رقعة الأرض التي تمتد عليها الجزر البريطانية.

- الاضطهاد الديني الذي تعرض له آلاف البريطانيين الذين اعتنقوا مذهب البيور يتاني، في عهد الملك جيمس الأول 1603-1625م مما اضطر هؤلاء إلى الفرار بمذهبهم إلى العالم الجديد.

- تدني قيمة الذهب والفضة في انكلترا بسبب تدفقهما من العالم الجديد.

- الرغبة في منافسة الاسبان الذين كانوا يضمرون العداء الشديد للانكليز.

- شدة الروح العدائية بين فرنسا وانكلترا ومحاولة كل واحدة منهما سبق الأخرى في السيطرة على موارد التجارة الخارجية.

**هـ - الكشوفات الفرنسية:** جاءت الكشوفات الفرنسية متأخرة بعض الشيء بالقياس لكشوفات كل من الانجليز والبرتغاليين والاسبان، وتركت نحو امريكا الشمالية حيث تم اكتشاف كندا التي اسس الفرنسيون فيها اول مستعمرة لهم سنة1613. أما مدينة كوبيك فقد اسوسها على ضفاف نهر سان لوران سنة1608، وفي سنة1662 اكتشفوا نهر المسيسيبي وانشأوا مستعمرة لويزيانا الفرنسية ويمكن القول أن المكتشفات الفرنسية بقيت ضعيفة، ولم يمكن الحفاظ عليها لأن فرنسا اتبعت فيها سياسة استعمار الاراضي الواسعة. كما انها لم ترسل أو تهجر الايدي العاملة الفرنسية الكافية لاستيطانها ولم تضع جيوشا قوية في مستعمراتها آنذاك للمحافظة عليها

**النفوذ الفرنسي في الهند والبحار الشرقية:**

تأسست شركة الهند الشرقية الفرنسية في عهد الملك هنري الرابع عام1604م وقد سعت هذه الشركة لبسط نفوذها على البحار الشرقية وساعدتهما على ذالك العوامل التالية:

- تدعيم النفوذ الفرنسي في المحيط الهندي بواسطة مراكز عسكرية وتجارية كمدغشقر وما جاورها.

- اتخاذ الفرنسي في المحيط الهندي بواسطة مراكز عسكرية وتجارية كمدغشقروماجاورها.

- تشجيع التنافس المحلي في الهند.

- استغلال فرنسا لرغبات الأمراء الهنود التوسعية على حساب بعضهم البعض حيث كانت فرنسا تسارع إلى تأييد أحد الأطراف المتنازعة مقابل تنازل ذلك الطرف للفرنسيين عن بعض أرضيه، وبذلك تكسب أراض تضمها إلى ممتلكاتها.

- حصول الشركة الرئيسية على حق المتاجرة في الشواطئ الهندية بعد بسط نفوذها على كاليكوت.

**المرحلة الثالثة**: شهدت مرحلة التحالف التي مرت بها الحضارة الاوربية في دورتها الثانية، توسعا استعماريا لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية والقرن التاسع عشر هو بحق قرن الامبراطوريات الاستعمارية بالمعنى التام للكلمة، والواقع أن التطور السريع للرأسمالية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نتيجة للتقدم التقني والعلمي وخاصة الآلة البخارية وما نجم عن ذلك من ازدياد الانتاج وتشبع السوق الداخلية، والحاجة إلى أسواق جديدة خارجية لتصريف الانتاج وتوظيف الأموال المتراكمة من الفترات الاستعمارية السابقة على شكل فائض قيمة تاريخي، كل هذا ولد هجمة استعمارية جديدة تتسم بالشراسة والبشاعة شملت بشكل خاص مجمل القارتين الاسيوية والافريقية، وأدى كل ذلك إلى حصول كل من انكلترا وفرنسا والمانيا واليابان على مستعمرات تفوق في أهميتها وفي مساحتها ما حصلت عليه الدول الاستعمارية القديمة كهولندا والبرتغال في القرون السابقة مجتمعة.

بداية القرن العشرين كانت حفنة صغيرة من الدول الاوروبية قد انجزت اقتسام العالم وأحالت إلى العبودية القسم الأكبر من الانسانية، وهكذا ففي مدة لا تزيد عن خمسين سنة ارتفعت مساحة المستعمرات البريطانية من5،6مليون كلم إلى 5،33مليون كلم، أي ما يعادل ربع مساحة الكرة الارضية، كما ازدادت فرنسا خلال ذلك مساحة مستعمراتها من5،0 مليون الى10 ملايين كلم. وفي افريقيا التي لم تكن المستعمرات الاوربية تبلغ خلال السبعينات من القرن التاسع عشر سوى عشرة بالمائة من مساحتها الاجمالية، فإنها اصبحت بكاملها مقسمة بين الدول الاوربية في نهاية ذلك القرن أي خلال ثلاثين عاما فقط.

وللوهلة الأولى يمكننا أن نلاحظ أن كثافة التسابق من أجل الحصول على المستعمرات خارج حدود القارة الأوربية قد بدأت منذ منتصف القرن الماضي وتحديدا بعد تحقق الوحدة الألمانية. إن الأحدث التي شهدتها القارة الاوربية منذ الخمسينات القرن التاسع عشر والتي رأسها الوحدتين الايطالية والالمانية وضعف الدولة العثمانية وظهور بعض الدول الجديدة الصغيرة التي اصبحت تطمع في جزء من المستعمرات جعل تلك الفترة تتسم بتلك الحملة المحمومة والمسعورة من التسابق وللهاث وراء استعباد الشعوب واستنزاف ثروتها وخيراتها وبعد ان حاولت كل من بلجيكا والمانيا الحصول على بعض المستعمرات في افريقيا كحق طبيعي لهما في الاستفادة من هذا العالم المغلوب على امره، كما هو وضع كل من فرنسا وبريطانيا المستعمرتين التقليديتين بدأت تتحد معالم صراع مقبل خطير في

ابعاده، غريب في اهدافه كارثي في نتائجه فنادت الدول الاوروبية الاستعمارية للاجتماع في برلين عام1885وبرغبة من بسماركلحل هذه الازمة الاستعمارية التي راح عدم حلها ينذر بخطر التنازع الدموي خاصة في ظل وجود قوى صاعدة لا يمكن التخفيف من حدة طموحاتها بدو اشراكها ولو نسبيا في حصة من المستعمرات. وقرر التحالف الاوروبي خلال المؤتمر تخفيف الصراع والتوزيع المغانم ووضع مبدئا قانونيا حول صحة الاحتلال الاستعماري وهو الاحتلال الفعلي، ومبادئ قانونية اخرى كالمساواة الاقتصادية وحرية الملاحة في نهري

الكونغو والنيجر...الخ.

وفي سياق هذه الحملة التي استهدفت الاجهاز على ما تبقى من أرض خارج نطاق السيطرة الاستعمارية الاوربية او امتداداتها الحضارية الرأسمالية، كالاستعمارين الياباني والامريكي لجأت بعض الدول إلى تغطية العملية الاستعمارية تحت اسماء مختلفة، فابتدعت مؤسسة الحماية الدولية التي طبقت على تونس والمغرب الاقصى بالنسبة لفرنسا عامي 1881 و1912 على التوالي، وعلى كوريا بالنسبة لليابان، وعلى كل من مصر واليمن وبعض مناطق الخليج العربي بالنسبة لبريطانيا، وعقب الحرب العالمية الأولى تم ابتداع مؤسسة الانتداب- حسب ما ورد في ميثاق عصبة الامم- الذي قسم إلى ثلاثة انواع هي: أ و ب و ج، يطبق كل واحد على مجموعة من الشعوب بحسب مستواها الحضاري حسب ما قررته العقلية الاوربية. فالنوع أ، طبق على الاراضي التي انسلخت عن الدولة العثمانية والنوع ب طبق على المستعمرات التي انتزعت من المانيا وسلمت لغيرها من الدول كأستراليا ونيوزيلندا. والنوع ج طبق على مستعمرة ناميبيا في جنوب غرب افريقيا. كما انه بعد الحرب العالمية الثانية وحسب ما نص عليه ميثاق الامم المتحدة، تم ابتداع مؤسسة الوصاية التي انتقلت بموجب قوانينها، الدول الواقعة تحت الانتداب إلى دول واقعة تحت الوصاية وأن كان الوضع بعد الحرب الثانية كان قد دخل مرحلة جديدة في كل شيء جعلت النظم التقليدية للاستعمار اثرا بعد عين.

اما في القارة الامريكية فقد نادت الولايات المتحدة الامريكية التي نمت وتطورت فيها الرأسمالية بشكل مثير بمبدأ مونرو الذي سعة بموجبه إلى اغلاق القارة في وجه التوسع الاستعماري الاوربي، اي انها احتكرته لنفسه ثم اضافت اليه مبدأ الباب المفتوح فيما يتعلق بالشرق الاقصى، مساهمة على اساسها في التوسع الاستعماري في هذا التوسع الاستعماري في هذا الجزء من القارة الأسيوية.

وفي الختام فإن مما يجدر ذكره أن هذا السباق الرأسمالي العالمي لاقتسام العالم الجنوبي تحت الزعامة الاوروبية، أدى الى خروج بعض الدول الرأسمالية الناشئة مثل المانيا وايطاليا واليابان بحصص

ضئيلة لم تشبع طموحها حسب ما فرضتها قسمة مؤتمر برلين، مما دعاها إلى المطالبة بإعادة الاقتسام في محاولة لتوسيع النطاق حصصها من المستعمرات، وكانت هذه الاهداف الباطنة سببا رئيسيا وجوهريا يقف وراء اندلاع الحربين العالميتين الأولى ثم الثانية بمبادرة المانيا، وبالتالي فإن هاتين الحربين وماسبق كلا منهما كان بمثابة توجيه للسفينة الاوربية باتجاه الأعداد للصدام الدموي على خلفية التنازع على المغانم والاملاك والمستعمرات رغم ما اعترى هاتين الحربين من مداخلات عديدة اسهمت بدورها في نقل الحضارة الاوربية الاستعمارية المادية الصهيونية إلى اخر مراحلها التي لازلنا نعيشها لغاية الان، وهي المرحلة الانتقالية التي سنستشف في ضوء معطياتها وحيثيتها المختلفة آفاق حلول حضاري جديد مقبل بدأنا نلمح احتمال مقومات التحول باتجاهه منذ سنوات قليلة.

**3- الأسباب والعوامل المساعدة:**

إجتمعت جملة عوامل وأسباب، في نهاية العصور الوسطى، لتعطي الفعل الإستعماري معاني جديدة كالهيمنة والإستغلال، مما سيجعل من الإستعمار إحدى الدعائم الأساسية لسياسات الكثير من الدول الأوروبية.

تندرج هذه العوامل، ضمن التحولات الكبيرة التي عرفتها المجتمعات الأوروبية وخاصة الغربية منها، في نهاية العصور الوسطى، والتي يمكن إيجازها في:

ففي المقام الأول لم يحل عام1880 حتى كان الأوربيين، بفضل جهود المستكشفين والمبشرين، يعرفون عن إفريقيا ودقائق تضاريسها ومواردها ونقاط القوة والضعف في دولها ومجتمعاتها أكثر بكثير مما كان الأفريقيون يعرفون أوربا. ومن ناحية أخرى كان خوف الأوربيين من أفريقيا قد قل كثيرا عما كان عليها في النصف الأول من القرن التاسع عشر وذلك بسبب التغيرات الثورية التي طرأت على عالم الطب والممارسات الطبية ولاسيما اكتشاف المفعول الوقائي لكينا ضد مرض الملاريا.

ومن ناحية ثالثة كانت من موارد أوربا المادية والمالية تفوق بمراحل موارد إفريقيا فعلى حين أن أوروبا كانت قادرة على إنفاق الملايين من الجنيهات في حملات تشنها فيما وراء البحر كانت إفريقيا عاجزة عن التصدي لآي جبهة عسكرية طويلة الأمد مع أوربا.

ومن ناحية رابعة فقد سادت الفترة التي تلت الحرب الروسية التركية عام1877 -1878 حالة من التوازن الدولي السياسي أدت إلى السلام والركود في أوربا على حد تعبير المؤرخ البريطاني ج.هولاند روز، بينما اتسمت الفترة ذاتها في إفريقيا بالصراع والتنافس بين الدول الإفريقية وفي داخل كل دولة شعب الماندنجو في أفريقيا الغربية ضد الشعب التوكولور، وشعب الأسانتي ضد شعب الفانتي وشعب

الباجندا في أوغندا ضد شعب البانيور في زمبيا وشعب الباتورو ضد شعب البانيورو، وشعب الماشونا ضد الشعب النديبيلي.

وهكذا كان باستطاعة أوربا، وقد تحررت من المشاغل الخطيرة داخل حدودها، ان تركز جهودها على الأنشطة الاستعمارية بينما كانت الدول والبلاد الإفريقية تعاني من توزع الانتباه في القضايا الهامشية ناسية مصيرها. وفضلا عن ذلك فإنه على الرغم مما كان بين الدول الاوربية من خلافات القضايا الإمبريالية والاستعمارية، كانت أطول فترة تقسيم أفريقيا وحتى عام1914 تتوصل إلى فض هذه الخلافات دون اللجوء إلى الحرب، باستثناء الصراع الذي نشب بين البريطانيين والبوير في جنوب افريقيا.

وعلى الرغم مما نشأ بينها من تنافس وما شب من أزمات فإن روح التضامن القوية بين الدول الاوربية التي تقاسمت أفريقيا لم تعبد خطر نشوب حرب بينهما فحسب بل حلت كذلك بين حكم الافريقيين تزامنت فترة الغزو الاستعماري لأفريقيا مع إحراز تقدم تكنولوجي في صناعة الأسلحة ترتبت عليه تغيرات جذرية في فنون القتال مكنت الأوروبيين من تحقيق ساحق على المقاومة التي أبداها المحاربون الأفريقيون. ذلك أن إدخال البنادق التي تعمر من مغاليقها والخراطيش المعدنية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر قد حسن كثيرا من قدرة الرماة من حيث مدى الإطلاق ودقته وسرعته وسجل نهاية سلاح الفرسان بوصفة قوة ضاربة. والأهم من ذلك ما جد من تطورات على المدافع الرشاشة باختراع رشاشات (الصفحة السابقة) عام 1862 ورشاشات مكسيم (إلى اليمن) عام 1883. ولم يكن باستطاعة بأكبر الجيوش الأفريقية وأشدها تفانيا – وليس لديها سوى بنادقها البالية (التي تعمر من فوهاتها) وفؤوس وحربها – أن تتصدى للقوى الأوروبية الغازية بحسن تنظيمها وضبطها وتدريبها وبما أوتيت من أسلحة جديدة وفتاكة.

ففي الوقت الذي كانت فيه الشعوب الأفريقية تراهن وتسعى إلى ضرب دولة أوروبية بدولة أخرى أوروبية. وطوال هذه الفترة كانت الدول الأوروبية المختلفة تعتدي على دول أفريقية واحدة تلو أخرى دون أن يخطر على بال الدولة أوروبية أن تنتصر لدولة أفريقية ضد دولة أوروبية أخرى.

أما الدول الأفريقية فكانت تفتقر إلى روح التضامن والوحدة والتعاون لدرجة أن دولا منها لم تتوان عن دعم العدوان الأوروبي. فقد تحالف شعب الباجندا مع البريطانيين ضد شعب البانيورو، وتحالف شعب الباروتسي أيضا معهم ضد شعب الناديبيلي بينما تحالف البمبارا مع الفرنسيين ضد شعب التو كولور.

وأخر هذه العوامل وأشدها حسما بطبيعة الحال هو تفوق الأوروبيين التنظيمي والعسكري الكاسح على أفريقيا. فعلى حين أن أوروبا كانت تمتلك جيوشا محترفة جيدة التدريب، فما أقل الدول الأفريقية التي كان لديها جيوش دائمة وأقل منها الدول التي كان لديها جيوش محترفة. وعلاوة على ذلك كان بإمكان الأوروبيين الاعتماد على المرتزقة والمجندين الأفريقيين لتأمين ما يحتجون إليه من تفوق عددي.

وأهم من ذلك كله أن الدول الامبريالية كانت قد أجمعت بمقتضى اتفاقية بروكسل لعام1890 على ألا تبيع الأسلحة للأفريقيين، مما ترتب عليه أن معظم الجيوش الافريقية لم تكن تملك من الأسلحة سوى البنادق القديمة الطراز مثل المصونات والبنادق التي تعمر من فوهانها، ولم يكن لديها أية مدفعية ثقيلة أو أساطيل بحرية.

ومنجهة أخرى كانت الجيوش الاوربية تتمتع بدعم أساطيلها البحرية وتمتلك أحدث الانواع المدفعية الثقيلة والبنادق المتعددة الطلقات وبخاصة رشاشات جاتلنج ومكسيم، فضلا عن السيارات بل الطائرات في مراحل الغزو الاخيرة. ومن الآمور ذات الدلالة أن الزعيمين الآفريقين اللذين نجا في الحاق بعض الهزائم بجيوش الاوربيين، وهما سموري ومنليك، كانا الوحيدين اللذين استطاعا الحصول على بعض الاسلحة الحديثة. ويخلص الشاعر البريطاني هيلير بيلوك في بيتين من الشعر تفوق اوربا العسكري الساحق على افريقيا (مهما حصل فلدينا رشاشات مكسيم وليست لديهم).

وبالنظر إلى كل المزايا الاقتصادية والسياسية وعلى الأخص المزايا العسكرية والتقنية التي كانت اوروبا تتفوق بها على افريقيا، فقد كان الصراع أبعد ما يكون عن التكافؤ وكانت نتائجه محتومة، ومجمل القول أن توقيت الغزو لم يكن ثمة أنسب منه بالنسبة لأروبا ولا أسوأ منه بالنسبة لإفريقيا. ويمكن تلخيص جملة تلك العوامل كالاتي:

- تفسخ النظام الإقطاعي وازدياد قوة الدول ومن ثمة نفقاتها.
- تطور قوي الإنتاج وميلاد الحاجة إلى المعادن الثمينة، بعدما استنفذت معظم مناجم أوروبا.
- سيطرة الأتراك على مصر وغلقهم لتجارة المتوسط مما سيضطر الأوروبيين إلى البحث عن طريق آخر للوصول إلى مصادر التوابل، التي ازداد الطلب عليها بفعل تطور التعودات الغذائية، التي أفرزتها النهضة؛
- تطور علوم وفنون ركوب البحر (الخرائط، البوصلة، بناء السفن، تنظيم الرحلات الكبيرة...الخ)، مما سيساعد على بداية عصر الكشوفات الجغرافية الكبيرة (اكتشاف كريستوف كولومب للعالم الجديد عام1492 وفاسكو دو غاما للطريق البحري المؤدي إلى آسيا عبر جنوب إفريقيا عام 1498...الخ).

وهكذا، وباكتشافهم للطريق البحري المؤدي إلى آسيا وكذا للعالم الجديد، سيكشف الأوروبيون عن نواياهم في نهب خيرات القارات الأخرى، وذلك ما سيؤدي إلى ظهور أولى إمبراطوريتين استعماريتين في الفترة الحديثة: البرتغال وإسبانيا. وتدريجيا أصبح البحث عن المواد الأولية وممارسة التجارة ثم النية في مراقبة الطرق التجارية، أهم أسباب التوسع الإغريقي.

**4- طرق واساليب الاستعمار:**

تنوعت اساليب الاستعمار وطرقه من دولة استعمارية لأخرى واختلفت معها السياسات الاستعمارية ففي ملاحضة عامة وبسيطة يمكن القول ان الاستعمار الفرنسي كان أشد وقعا وألاما على الشعوب وكلامنا هذا يمكن تبريره بدموية الفعل الاستعماري الفرنسي حيث ما حل وخير شاهد على ذلك ما فعله الفرنسيون على اثر نهاية الحرب العالمية الثانية من مجازر ارتكبت في حق الشعوب التي ناصرت فرنسا كانت تلك المجازر في بشاعتها أقصى من اعمال النازية. بينما نجد الانجليز أقل دموية وان كان اثر استعمارهم على المستعمرات أبقى واطول أمدا وهذا عايشته الشعوب في جنوب افريقيا أو في فلسطين أو في الهند من انقسام مازال الهنود يعانون منه وما مشكلة الحدود الا صنيعة انجليزية.
كما وجدنا البرتغاليون هم سادة وصناع بل واساتذة ظاهرة العبودية وما صاحبها من ممارسات في حق الشعوب الملونة اما الهولنديون والاسبان والبلجيكيون فكانوا قساة وهاهو الملك ليبولد البلجيكي يتفنن في تقطيع ايادي الكونغوليين فعن كل مائة عبد كان يبتر ذراعي عبد بدعوى تسهيل عملية حسابهم. مع ذلك حاولوا تبرير هذه الظاهرة تحت مسميات مختلفة يمكن تلخيصها كالاتي:
**أ- الادماج:** ظهرت أفكار مضادة ومعارضة لتلك الممارسات الجائرة عالجت في الكثير من المؤلفات هذه المشاكل. وهكذا سمحت مثل هذه المعارضة بظهور مؤلفين نشطين مناهضين لاستبعاد الملونين في افريقيا واسيا مثل الآب رايناالالذي ألف بمعية ديدرو، "تاريخ الهندين" عام1770، الذي شرح فيها بالحجج الإقتصادية ضرورة إلغاء أمر الإستعباد، لأن العبودية والإستعمار إحدى شكلي الإستغلال الأكثر تخلفا.

وفي1788 ظهرت جمعية أصدقاء الزنوج في فرنسا، وأثناء الثورة الفرنسية، قال روبسيار الذي عرف بدموية أثناء أحداث الثورة وبتشجيعه لاستعمال المقصلة للتخلص من الخصوم لقد كان رجلا دمويا لكنه راى في المستعمرات عبئا يجب التخلص منه: "فلتسقط المستعمرات"، وكأن يعني نهاية الإستعمار، وقد أُلغي الإستعباد في1794، وقبل ذلك بثلاث سنوات، فَوَّض المجلس التأسيسي للمجالس الإستعمارية أمر منح حقوق الإنسان لأهالي المستعمرات، أي أن الثورة جاءت بنوع من التفسير لفكرة

الإدماج. وهكذا نشأت فكرة إجتثاث المستعمرات من بين مخالب الهمجية عن طريق نشر الحضارة في أوساطها، أي بإدماجها في الحضارة عن طريق مد القوة المهيمنة بمؤسساتها السياسة إلى المستعمرات. كانت القوى الإستعمارية، التي تسودها الثقافة اللاتينية كفرنسا وإسبانيا وإيطاليا والبرتغال أهم الدول التي نَفَّذت سياسة الإدماج، السياسة التي يقتضي نجاحها وجود المستعمرة في حالة إنقسام قبلي (أو على الأقل يسودها هذا التنظيم) حيث ينعدم وجود سلطة مركزية فيها (إفريقيا الإستوائية مثلا).

الاستعمار كان أكثر الاشكال شيوعا، وفيه تكون المستعمرة خاضعة للحكم المباشر بعد القضاء على الانظمة المحلية القائمة فيها، كحكم الداي حسين في الجزائر سنة1830 والملكة رانا قالونا الثالثة في مدغشقر سنة1897، وتتبع غالبا وزارة المستعمرات.

**ب- الضم:** وكان يعني الحاق المنطقة المحتلة بالتراب الفرنسي واعتبارها جزءا لايتجزأ منه، تم اخضاعها لوزارة الحربية في حالة عدم السيطرة عليها نتيجة المقاومة الشعبية، وقد شملت سياسة الالحاق مستعمراتها الاستيطانية كضم الجزائر بموجب قرار 22جويلية1891 والمغرب الاقصى، ويمثل الادارة الفرنسية فيها الوالي أو الحاكم العام.

**ج- الحماية:** فرضت فرنسا حمايتها على تونس سنة1881 وتشاد سنة1899 والكونغو1891 والمغرب الاقصى1912 بدعوى عجز السلطات المحلية على حفظ الامن والاستقرار ومصالح فرنسا في المنطقة، وكان الحكم فيها غير مباشر بحيث حافظت فرنسا على الانظمة السياسية القائمة كالاسرة الحسينية الباياوية في تونس والاسرة العلوية في المغرب لاقصى، ويمثل الادارة الاستعمارية في المحمية المقيم العام.

**د- الإشراك:** تتمثل هذه السياسة في احتفاظ القوة المهيمنة بالزعامات المحلية في المجتمعات التي عرفت تنظيما سياسيا واسعا كالدولة، ومنحها (أو التقاسم معها) جزءً من صلاحيتها وامتيازاتها، ويشترط في الإشراك إعتراف زعيم المستعمر بالسلطة الإستعمارية. يبرر دعاة هذا النهج سياستهم هذه بمحاولة الإبقاء على الأرستقراطية التقليدية السائدة في المستعمرة وبالحفاظ على التقاليد المحلية، وتعد مجموعة الدول الإستعمارية الأنجلو- ساكسونية، كالمملكة المتحدة وألمانيا وهولندا وبلجيكا، أهم القوى التي عملت على إرساء هذه السياسة في مستعمراتها، علما أن لها جاليات كبيرة تقيم في تلك المستعمرات. وفي فرنسا ظهر عدد من دعاة هذه السياسة أمثال ليوطي، غالييني، بول بارت، كما تعد الجزائر نموذجا خاصا تعايشت فيه عدة سياسات ومنها الإدماج والإشراك.

**هـ- التسيير الذاتي في مستعمرات الإستيطان:** حين ظهرت الحاجة إلى تخصيص أكبر جزء ممكن من الميزانية لشؤون الوطن الأم، سمحت القوى الاستعمارية لمستعمراتها بأن تسير نفسها بنفسها. ويتعلق الأمر هنا بمستعمرات الإستيطان كالجزائر وكندا وأستراليا وزيلندة الجديدة، المستعمرات المأهولة بأعداد كبيرة من المستوطنين، الذين أخذوا يطالبون بالإنفصال أو الإستقلال، وقد كان إستقلال الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية أحد أشكال تطور السياسة الإستعمارية على هذا النحو، أي إمكانية إرتباط المستعمرة بالدولة التي استعمرتها إقتصاديا دون الإحتفاظ بعلاقات الهيمنة الإقتصادية؛ ومثال ذلك بريطانيا التي أبقت، بداية من 1848، على علاقات تبعية مستعمراتها لها ومنحت، إبان هذه السنة نفسها، كندا حكومة تمثيلية ثم تلتها أستراليا وزيلندة الجديدة وجنوب إفريقيا. وفي 1867 أنشأت ما يعرف بالدومينيون الكندي وشرعت بذلك في استبدال السياسة الإستعمارية الصرفة بسياسة توحد بين شعوب مستعمراتها بواسطة روابط ثقافية وحضارية وتجارية مع الوفاء للتاج البريطاني، أي ما سوف يصبح لاحقا كومنوالثًا .وباختصار، فإن مستعمرات الإستيطان هذه أخذت تتجه صوب نظام المساواة داخل الكومنوالث وفق تطور دستوري تدريجي.

**و- الانتداب:** هو اخر الاشكال الاستعمارية ظهر بعد الحرب العالمية الاولى في مؤتمر صالح 1919 وقد قننته عصبة الامم ومنحته الشرعية الدولية بموجب المادة 22 من ميثاقها، وشمل المستعمرات الالمانية في افريقيا الكاميرون، الطوغو، ناميبيا والولايات العثمانية الشرق العربي سوريا، لبنان، فلسطين، العراق بدعوى قصور شعوبها وعدم قدرتها على تسيير شؤونها بنفسها، وقد انتدبت فرنسا على جزء من الطوغو والكاميرون وكان يمثلها المندوب السامي.

وهو منح عصبة الأمم، وبموجب المادة 22 من ميثاقها، حق تسيير شعوب متخلفة ـ غير قادرة على تسيير نفسها بنفسها وظلت إلى تاريخ المصادقة على معاهدة فرساي في 1919/2/14 خاضعة لدول محورية في الحرب العالمية الأولى كألمانيا والدولة العثمانية لدول متقدمة هي نفسها الدول المنتصرة على ألمانيا والدولة العثمانية، حتى تقودها إلى حالة أفضل وتجعلها مؤهلة لأن تقرر مصيرها بنفسها. بعد إنشاء هيئة الأمم المتحدة عام 1945، أصبحت الأراضي الموصي عليها، باستثناء جنوب غرب إفريقيا (ما سوف يُعرف لاحقا باسم ناميبيا) ، تحت وصاية الأمم المتحدة، غير أن الدول المنتصرة في الحرب هي التي سيَّرتها.

يتميز الانتداب عن الاستعمار من حيث الشكل بـ: كونه حالة في تطور، قد تنتهي إما باستقلال الشعب الخاضع للانتداب وإما باندماجه الطوعي مع الدولة الوصية؛ لا يدخل تسيير شؤون الشعوب الموصي

عليها ضمن سياسة استعمارية معينة بل ضمن مسؤولية دولية؛ لم يكن الانتداب يعني دائما تهيئة الشعب للاستقلال، بل لحالة أسوأ ( حالة فلسطين مثلا).

اختلف الانتداب من قوة لأخرى (بريطانيا وفرنسا مثلا)، إذ أن عصبة الأمم لم تراقب أية واحدة منها، مما جعل مثلا فرنسا تسمي سوريا ولبنان، الخاضعتين لوصايتها، كما مارست بريطانيا، باسم الانتداب، استعمارا حقيقيا.

تقسيم الانتداب من قبل عصبة الأمم:

الإنتدابات أ: سوريا – لبنان (فرنسا) استخدمت فرنسا، بدلا من انتداب، عبارة: المؤسسات الفرنسية في الشرق. فلسطين - شرق نهر الأردن - العراق (بريطانيا).

الإنتدابات ب: الكاميرون، طوغو (فرنسا) ؛ شمال غرب الكاميرون، طوغو الغربي، نغانيكا (بريطانيا)؛ رواندا – أورندي (بلجيكا).

الإنتدابات ج: الجنوب الغربي الإفريقي (إتحاد جنوب إفريقيا)؛ أراضي المحيط الهادي- شمال الإكواتور-أرخبيل الكارولين- ماريان- مارشال (اليابان)؛ أراضي المحيط الهادي- جنوب الإكواتور- نورو (بريطانيا) وتديرها أستراليا؛ غينيا الجديدة الشرقية (أستراليا)؛ ساموا الغربية (زيلندة الجديدة).

## الدرس الثاني: مؤتمر برلين

**1- ظروف انعقاده:**

انعقد ما بين 1884 و26 نوفمبر تشرين الثاني1885 وكان النبأ في اتخاذ قرار بعقد هذا المؤتمر قد أدى إلى تسارع السباق ولم يناقش المؤتمر بشكل جدي مسألة تجارة الرقيق ورعاية شؤون الافارقة.

وعلى الرغم من ان غاية المؤتمر لم تكن –ظاهريا على الاقل تقسيم افريقيا، فقد انته بها الامر إلى التطرف في اقاليمها واصدار قرارات بشأن حرية الملاحة على نهري نجيريا والبنوى وروافدهما وسن (الواجب مراعاتها مستقبلا عند احتلال أرض واقعة على سواحل افريقيا).

**2- أهم قرارات المؤتمر:**

نصت على قرارات مصيرية انتهت بتمزيق افريقيا واضعافها ومن أخطر تلك النصوص: حيث نصت المادة 34 على ان كل الدول الاوربية تستولي على منطقة ساحلية افريقية او تعلنها منطقة

محمية عليها ان تبلغ ذا الاجراء إلى الموقعين على ميثاق برلين لكي يقروا مطالبها ويصدق عليه. وهذا هو ما عرف بمبدأ مناطق النفوذ وقد ارتبط بها مبدأ اخر المناطق الداخلية الذي أصبح يقضي بأن استيلاء على المناطق الداخلية المتاخمة لها إلى عمق تكاد لا تحده حدود.

اما المادة 35 فتنص على ان من يستولي على منطقة من هذه المناطق الساحلية عليه ان يثب ان لديه من السلطة ما يكفي لحماية الحقوق القائمة بها للمحافظة على حرية التجارة والمرور وفق الشروط المتفق عليها وكان من شأن هذا المبدأ، الذي عرف بمبدأ الاحتلال الفعلي ان جعل الاستياء على افريقيا يتم بالطريقة الوحشية التي تم بها.

والواقع أن اوربا، باعترافها مجتمعة بدولة الكونغو الحرة 18784/04/22 واختير ليوبولد الثاني رئيسا لها، وسمحها بإجراء مفاوضات إقليمية وسنها القواعد والأنظمة للاستيلاء على اراضي افريقية بصور شرعية قد خولت نفسها حق إقرار مبدأ اقتسام قارة أخرى واحتلالها.

**3- مصير افريقيا بعد المؤتمر:**

لم يشهد تاريخ العالم سابقة تبرر اجتراء قارة على التحدث عن اقتسام ارضي قارة أخرى واحتلالها. وكان ذلك بالنسبة للتاريخ الأفريقي أهم غزا يمكن إضفاؤه على ذلك المؤتمر. أما الحاجة القائلة بأن المؤتمر، خلافا للرأي الشعب السائد، لم يقم بتقسيم أفريقيا، فليست صحيحة إلا من وجهة نظر تقنية محضة، وأيا كان الأمر فهي حجة غير ذات موضوع، فقد ثم بالفعل أثناء المؤتمر استيلاء على الأراضي وتشير قراراته بوضوح إلى مسألة الاستيلاء على أراضي أخرى في المستقبل. وما أن حل عام 1885 حتى كانت الخطوط العريضة لتقسيم النهائي لقارة أفريقيا قد تم رسمها.

كان هذا المؤتمر أخطر المؤتمرات الأوروبية على مصير ومستقبل إفريقيا، فكان بمثابة الضوء الأخضر الذي أباح علنا استعمار وتقسيم إفريقيا من خلال قرارته الخطيرة، وعندما اكفهر الجو فيما بينهما، وأصبح ينذر بنشوب نزاع مسلح، اتفقت على عقد مؤتمر عام ببرلين، الذ إلتأم شمله أواخر عام 1884، واستمر الى عام 1885، وتم فيه تعيين مناطق النفوذ لكل دولة على قاعدة التراضي، وقسمت القارة، ونظم التسابق الاستعماري عليها، بشكل خبيث ولئيم، ووضعت أسس عامة لهذا التسابق والتقسيم.

**4- الأسس العامة للسباق الاستعماري:**

أولا: يجب مراعاة الأمور التالية:

- ألا تعلن اية دولة حمايتها على اية منطقة الا بعد ان تطلع باقي الدول الاخرى.

- ألا تقوم اية دولة بضم اية منطقة الا إذا كان ذالك مؤيدا باحتلال فعلي.

- ان تكون الملاحة والتجارة حرة في نهري، الكونغو والنجير وما حولهما.

ثانيا: توزع مناطق النفوذ في افريقيا على الشكل التالي:

أ- منطقة النفوذ الفرنسي، وتشمل: بلدان شمال افريقيا الغربي، وافريقيا الغربية، وافريقيا الوسطى الاستوائية.

ب- منطقة النفوذ الانجليزي، وتشمل: غامبيا، وسيراليون، وساحل الذهب، ونيجيريا في غرب افريقيا، هذا زيادة على جنوب افريقيا، وشرقها، وشمالها الشرقي.

ج- منطقة النفوذ البلجيكي، وتشمل: حوض الكونغو الغني بأكمله.

د- منطقة النفوذ الالماني، وتشمل الطوغو، الكاميرون، وجنوب غرب افريقيا في الغرب، وطانجانيقا، رواندا، وبورندي، في الشرق قارة.

نصت المادة 34 على أن أي قوة تستولي على أي جزء من الأرض على سواحل القارة خارج ممتلكاته الحالية أو التي تنوي إعلان حماية عليها، يجب أن توقع كل القوى الموقعة على مرسوم المؤتمر حتى تتمكن من الدفاع عن ادعاءاتها الخاصة.

كما أقر المؤتمر عدم إعلان أية دولة الحماية على منطقة من القارة الإفريقية دون أن تكون هذه الحماية مؤيدة باحتلال فعلي للمنطقة.

وقد أخذ موضوع الملاحة في حوض النيجر حيزا من جدول أعمال المؤتمر، فقد نصت المادة 30 من نصوص المؤتمر على أن تتعهد بريطانيا بتطبيق مبادئ حرية التجارة والملاحة في مياه النيجر وفروعه ومنافذه وعلى حماية التجار الأجناب والمنشآت التجارية، بينما نصت المادة 33 على حرية ملاحة النيجر خلال الحرب.

وكان الصراع قائما بين فرنسا وبريطانيا حول حوض النيجر قبل سنوات من انعقاد مؤتمر برلين (1884 – 1885 )، لذا طلبت فرنسا إدراج موضوع حوض النيجر في جدول أعماله، بينما طلبت بريطانيا بطلب لمعالجة الموضوع مستقلا عن الكونغو فوافق المؤتمر بالإجماع على الطلب البريطاني، فكانت ضربة قاسية لفرنسا التي كانت تأمل مساندة ألمانيا حسب اتفاق مسبق بينهما.

فقبل مؤتمر برلين كان اكتساب مناطق النفوذ يتم عن طريق الاستيطان والاستكشافات وإقامة المحطات التجارية واحتلال المناطق الاستراتيجية وعقد المعاهدات مع حكم الأفريقيين. أما بعد المؤتمر فقد غدا عقد المعاهدات أهم وسائل بسط النفوذ التي كرست تقسيم القارة. وكانت هذه المعاهدات على نوعين: معاهدات تعتقد بين الأفريقيين وأوربيين، واتفاقات ثنائية تعقد بين دولتين أوربيتين. وتنقسم المعاهدات التي عقدت بين الافريقين والأوربيين بدورها إلى نوعين يتعلق أولهما بتجارة الرقيق والاتفاقات التجارية بينما كان الثاني معاهدات سياسية مؤداها أن الحكام الأفريقيين قد تنازلوا عن سيادتهم مقابل حماية الأوروبيين لهم أو تعهدوا بألا يوقعوا معاهدات مع دول أوروبية أخرى.

بعد توقيع مؤتمر برلين أصبح النفوذ الأوروبي عن طريق المعاهدات أهم أساليب تنفيذ تقسيم على الورق، والتي اتخذت شكلين من المعاهدات.